

الجهود البلاغية
لفضيحة الإمام محمد الخضر حسين
وأثرها في البلاغة العربية

إعداد الدكتور
شادية مصطفى أحمد
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بني سويف، جامعة الأزهر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجهود البلاغية لفضيلة الإمام محمد الخضر حسين وأثرها في البلاغة العربية

شادية مصطفى أحمد

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بني سويف، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Ashadya72@gmail.com

ملخص البحث

يعد الإمام محمد الخضر حسين من أبرز علماء الأزهر الشريف، وهو عالم إسلامي، ومصلح اجتماعي، وأديب لغوي، وشاعر متمكن، ومجدد محافظ، اشتهر بالدفاع عن الدين الإسلامي، وحبه للعربية، وتصديه لمبغضيهها، خلف وراءه الكثير من المؤلفات في العلوم الدينية والعربية، واخترت موضوع بحثي: (الجهود البلاغية للإمام محمد الخضر حسين وأثرها في البلاغة العربية) ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على الجهود البلاغية لفضيلة الإمام محمد الخضر حسين من خلال مقالاته ومؤلفاته العديدة، ومنهج الدراسة هو المنهج الاستقرائي الوصفي الذي يقوم على تتبع هذه الجهود، وكيفية عرض الإمام لها، وموقفه منه، وإبراز أثرها في البلاغة العربية، واجتهدت في جمعها وترتيبها على نحو مترابط، يعطي تصورا للرؤية البلاغية للإمام، واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، التمهيد: نبذة عن الإمام ومسيرته العلمية، الاهتمام باللغة العربية، الاهتمام بالبلاغة العربية، الذوق البلاغي، المبحث الأول: بلاغة القرآن، المبحث الثاني: البلاغة النبوية، المبحث الثالث: الفنون البلاغية: الخيال، التشبيه، المجاز والنقل، ثم خاتمة البحث متضمنة نتائجه: ومن أهمها أن جهود الإمام تركزت نحو الاهتمام باللغة العربية وعلومها؛ لفضلها بكونها لغة القرآن، ومعجزة الرسالة والارتقاء البلاغي واتساع أوجه البيان من أسباب فضل اللغة العربية، وقد بلغ هذا الارتقاء البلاغي أوجه حين نزول القرآن الكريم؛ ليكون دليلا على صدق

نبوة الرسول الكريم، ومبرزا لإعجازه البلاغي، ومن هنا يشدد الإمام على أهمية دراسة البلاغة ومعرفة أبوابها، فهي من سبل الهداية والإيمان، ومظهر من مظاهر الاقتداء بالنبي الكريم، وطريق لإبراز الحق ودحض الباطل، ووسيلة للإصلاح، ثم توصيات البحث.

الكلمات المفتاحية: الجهود، البلاغية، للإمام، محمد الخضر، أثرها، البلاغة، العربية.

Fifth International Scientific Conference

Rhetorical efforts of Imam Muhammad Al-

Khader Hussain and its impact on enabling the elevation of Arabic rhetoric

Shadia M. Mustafa Ahmad. Tel: 01287113175

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies Beni Suef, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.

E-mail: Ashadya72@ gmail.com

Research Summary:

Imam Muhammad Alkhader Hussain is the most prominent scholar of Al-Azhar Al-

Sharif, an Islamic scholar, a social reconciliation figure, and a writer A conservative linguist and poet, famous for defending the Islamic religion, and his love of Arabic, and his resonance with

its light, he left behind Many books on religious and Arabic sciences, and I chose my research:

(The rhetorical efforts of Imam Muhammad Al-

KhaderHussain and their impact on enabling the elevation of Arabic rhetoric).

The research aims to shed light on the rhetorical efforts of Imam Muhammad Al Khader Hossein through his articles His many books, and the study method is the inductive and descriptive approach that tracks these efforts, and how The Imam's

presentation of it, his situation/ opinion

of it, and highlighting its impact on enabling the elevation of Arabic rhetoric, and I worked hard to collect and arrange it In a coherent manner, it gives images of the Imam's

rhetorical vision, and the nature of the research is to be in the introduction,

preface, and three topics, the preface

: a brief about the imam and his scientific career, interest in the Arabic language, interest in

Arabic rhetoric, Rhetorical taste, the first topic: the rhetoric of the Qur'an, the second topic:

prophetic rhetoric, the third topic: Rhetorical arts: rhetorical imagination, metaphor and transmission,

simile, rhyme, then the conclusion of the research is included in the search results: The most

important of which are The Imam's

efforts were focused on paying attention to the Arabic language and its sciences;

The rhetorical

elevation and the breadth of the aspects of the statement are among the reasons for the loss of the Arabic language, and this rhetorical

upgrading has reached its peaks while The revelation of the Holy Qur'an to be evidence of the

sincerity of the prophecy of the Holy Prophet, and to highlight his rhetorical miracle, hence stresses Imam on the importance of studying

rhetoric and knowing its doors, as it is one of the ways of guidance and faith, and

a manifestation of emulation The Holy Prophet, and a way to highlight the truth and refute

falsehood, and a means of reform, and then to the commandments of research.

Keywords: efforts, rhetoric, by the Imam, Muhammad Al-

Khader, its impact, height of rhetoric.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاما علي سيد المرسلين، ومن انتهج نهجه إلى يوم الدين، أما بعد.....

فإن الأزهر الشريف حصن منيع، ومنارة شامخة، يهتدي بها كل طلاب العلم في شتى بقاع الأرض، حمل علماءه الأجلاء على عاتقهم مهمة نشر الإسلام، وأسهم مشايخه الأجلاء بدور بارز في خدمة العلوم الشرعية والعربية على مر السنين، ومن أبرز هؤلاء المشايخ الإمام العلامة محمد الخضر حسين، تولى مشيخة الأزهر الشريف في الفترة (١٩٥٢-١٩٥٤)، حفلت مسيرته العلمية بإنجازات في شتى علوم الدين واللغة، وكان له باع طويل في الإصلاح ومواجهة التغريب، وحظيت آثاره وتاريخه العلمي باهتمام الباحثين والدارسين، وقد اخترت موضوع بحثي (الجهود البلاغية للإمام وأثرها في البلاغة العربية)، ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع:

- ١- عدم وجود دراسة تتبع جهود الإمام البلاغية، وتتناولها بالدراسة والبحث، فجعل الدراسات كان منصبا على جهوده الدينية ودوره في مجال الإصلاح، وجهوده اللغوية.
- ٢- قيمة هذه الجهود، ودورها البارز في البلاغة العربية، وكونها جزءاً أصيلاً من جهوده في خدمة اللغة العربية، والحفاظ عليها، والتصدي لأعدائها؛ مما يستحق البحث والدراسة.
- ٣- الوفاء للعلامة الجليل، الذي أفنى عمره في خدمة الدين واللغة، وترك إرثاً ضخماً من المؤلفات، عكف الباحثون على دراستها، وبقيت الجهود البلاغية بمنأى عن الدراسة، فحق لها ووفاء له أن يفرد لها بحثاً يبرزها.
- ٤- غزارة علم الإمام وأسلوبه الرائق في عرض أفكاره وآرائه، وما تمتع به من سلاسة ودقة وترتيب

للأفكار وتفصيل كلامه بالحجة والبرهان؛ مما يغري الباحث بالنهل من فيض علمه.
وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على هذ الجهود وتتبعها من خلال مؤلفاته وإبراز
أثرها في البلاغة العربية.

ومن الدراسات السابقة في الجانب البلاغي للإمام:

١ - (بلاغة القرآن وحسن بيانه عند الإمام محمد خضر حسين ت ١٣٧٧ هـ في كتابه بلاغة القرآن)
بحث مقدم من د/ سامية محمد محمد علي مقدم بالمؤتمر العلمي الدولي الأول بكلية
الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ٢٠٢٢ م.

وجاءت الدراسة في ثلاثة مباحث: تناولت في الأول عرضا ملخصا لكتاب الإمام، وفي الثاني
تناولت منهج الإمام في كتابه ونقده للانحرافات في تأويل القرآن، ثم الخاتمة التي توصلت فيها
الباحثة إلى أن الإمام كشف في كتابه عن بعض أسرار إعجاز القرآن المتمثلة في فصاحة مفرداته
وإحكام نظمه ودلالة القول على المعنى دلالة وافية، وإيراده القصة في أكثر من موضع حسب ما
يقتضيه السياق ويتطلبه المقام، وفي كل موضع تكون في أوفى وأعلى درجة من حسن البيان.

هذه الدراسة تتحدث عن عرض مباحث الكتاب كله، بما فيه من مباحث في بلاغة القرآن
وغيرها من مباحث في التفسير، وبيان منهج الإمام في كتابه، والخلاصة إلى القول ببلاغة القرآن من
عدة وجوه، وما سأتناوله في بحثي مختلفا عنها بخصوص هذا الكتاب فسيكون إبرازا للموضوعات
البلاغية ضمن جهوده البلاغية وبيان أثرها، وسر ذكر الإمام لها على الرغم من اهتمام العلماء قبله
بها، وسر تسمية الكتاب ببلاغة القرآن على الرغم من اشتماله على غيرها من علوم التفسير.

٢ - (قصيدة فضل اللغة العربية في ديوان خواطر الحياة للشيخ محمد الخضر حسين دراسة بلاغية)،
بحث مقدم من د/ نوره محمد مرسى عبيد، منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج العدد الثامن والعشرين ٢٠٢٢ م، والدراسة تناول إحدى قصائد الإمام دراسة

بلاغية تحليلية، وهو بعيد عن موضوع بحثي.

٣- (الشعر العربي والخيال في النقد التونسي في بداية القرن العشرين من خلال أبي القاسم الشابي ومحمد الخضر حسين)، بحث مقدم من د/ عمارة الجداري، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريج، المجلد ٥، العدد ٢، جوان ٢٠٢٣، وتناول فيه الباحث مقارنة بين كتاب أبي القاسم: (الخيال الشعري عند العرب)، وكتاب الإمام: (الخيال في الشعر العربي) ابتداء من العنوان إلى الفكرة ومضمونها، وما سأقوم بدراسته مختلفا عن هذه الدراسة هو دراسة الموضوعات البلاغية المعتمدة على الخيال التي ذكرها الإمام، وبيان أثرها.

وهذه الدراسات لم تعالج موضوع دراستي بشكل مباشر، وإنما مستها مسارقيقا، وهذا لا يغض من شأنها، فقد أنارت لي الطريق، ومهدت لي السبيل، وكانت معلما بارزا من المعالم التي أفدتها في دراستي.

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على هذ الجهود وتتبعها من خلال مؤلفاته، وإبراز أثرها في البلاغة العربية، ومنهج الدراسة هو المنهج الاستقرائي المتبع للجزئيات وتحليلها؛ حتى ينتهي للحكم الكلي.

فقد جمعت المباحث البلاغية من مؤلفات الإمام، ورتبتها بما يناسب البحث، وبينت سبب اختيار الإمام لها، ورأيه حولها.

واقترضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، أسباب اختياره، منهج الدراسة، الدراسات السابقة.
- التمهيد: وفيه نبذة عن الإمام، مسيرته العلمية، اهتمامه باللغة العربية، اهتمامه بالبلاغة العربية، وبيان أهمية دراستها، والذوق البلاغي.
- المبحث الأول: بلاغة القرآن عند الإمام.

- المبحث الثاني: البلاغة النبوية عند الإمام.
 - المبحث الثالث: بحوث بلاغية متفرقة عند الإمام.
 - ثم خاتمة البحث: وفيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث وتوصياته.
- وأخيرا فإن هذا البحث هو غاية جهدي المتواضع، ولا أدعي الكمال فيما كتبت، ولا السلامة من زلات البيان، فما كان فيه من توفيق فمن الله -جل في علاه-، وإن كان فيه من تقصير فمن نفسي، وحسبي شرف الاجتهاد وأني في مقام التعلم، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد: الإمام محمد الخضر حسين^(١)

الإمام العلامة محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسيني، ينتهي نسبه إلى الحسين بن السيدة فاطمة - عليها السلام - وهو الإمام التاسع والثلاثون اشتهر بالدفاع عن الدين الإسلامي، وحبه للعربية، وتصديه لمبغضيتها، خلف وراءه الكثير من المؤلفات في العلوم الدينية والعربية، ولد الإمام عام (ثلاثة وسبعين وثمانمائة وألف من الميلاد) بتونس، وأخذ العلوم الشرعية والعربية بجامعة الزيتونة عن كبار العلماء، ثم درس فيه، وتقلد الأعمال والمناصب في عدة بلدان، إلى أن تولى مشيخة الأزهر الشريف عام اثنين وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٥٢ - ١٩٥٤)، حتى عام أربعة وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد، وكان له باع طويل في الإصلاح ومواجهة التغريب.

توفي - رحمته الله - عام ثمانية وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد بمصر وبها دفن، تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه.

مسيرته العلمية^(٢):

ما كان للباحث أن يجمل المسيرة العلمية الثرية للإمام لولا ضيق المقام، وحسبي أن أعطي عن ملامحها هذه النبذة، وصاحبها ذائع الصيت غزير العلم، متعدد المجالات كثير المطبوعات،

(١) اعتنى بترجمته الكثير من المؤلفين والكتاب؛ وقد وردت الكثير من التراجم للإمام من قبل معاصريه، ينظر: الموسوعة الكاملة للإمام الشيخ محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠، ٢٦/١٦٣ - الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ٦/١١٣ - الأزهر في ألف عام، د/ محمد عبد المنعم خفاجي ود/ علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠، ١/٣٠٢.

(٢) مقدمة موسوعة الإمام، ص ١١ - كتابات حول محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠، ص ٤٧.

كان لنشأته الدينية أثر كبير في رسم خطاه العلمية ، فهو ينتسب لأسرة جزائرية عريقة في العلم والدين والشرف، اجتمع له العلم والدين من جهة أبيه ومن جهة أخواله، حفظ القرآن الكريم، وتعلم العلوم الشرعية والعربية، ونظم الشعر وهو في الثانية عشرة من عمره، وفي الثالثة عشرة من عمره رحل إلى تونس، وانتسب إلى جامع الزيتونة، إلى أن تخرج منه بشهادة التطويح، ثم انتقل إلى دمشق، فحصل بها على عضوية المجمع العلمي العربي، والتدريس في المدرسة السلطانية، والمسجد الأموي، ورحل إلى الآستانة ، ثم ألمانيا، وبها تعلم اللغة الألمانية، ودرس الكيمياء وعلوم الطبيعة على يد المستشرق الألماني (هاردر)، ثم انتهت رحلاته إلى القاهرة، وبها وصل إلى أعلى المراتب العلمية، وهي مشيخته للأزهر الشريف، حرص من خلال توليها على رعاية الأمانة، والحفاظ عليها.

أدرك كثير من أولي العلم والفضل مكانته العلمية، فانهاالت ألسنتهم بالثناء عليه نثرا وشعرا^(١)، يقول عنه الإمام الأكبر عبد الحلیم محمود -رحمته الله-: (والشيخ " محمد الخضر حسين " مؤمن صادق الإيمان، مجاهد، مناضل، وهو تونسي المنبت والنشأة، جاهد في صفوف الوطنيين، وجاء إلى مصر عالماً، فقيهاً، لغوياً، أديباً، كاتباً من الرعيل الأول، وقد أسهم في الحركة الفكرية الإسلامية بنصيب وافر. فقد كان عالماً تفرغ للعلم، لم يشغله عنه شاغل من شواغل الدنيا، أو الجاه والسلطان، وحينما تولى " مشيخة الأزهر " لم يغيّر شيئاً من عاداته، وكان على استعداد كامل ودائم لأن يعيش على كسرة من الخبز وكوب من اللبن. ولأنه لم يكن له في شهوات المنصب من حظ، فإنه كان -دائماً- يحتفظ باستقالته في جيبه، ولقد كان يقول: " إن الأزهر أمانة في عنقي، أسلمها - حين أسلمها - موفورة كاملة، وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يديّ، فلا أقلّ

(١) الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠، ص ٣ وما بعدها.

من ألا يحصل له نقص" (١)، كانت له اليد الطولى في إنشاء العديد من المجلات؛ مثل مجلة (السعادة العظمى)، (نور الإسلام)، (الهداية الإسلامية)، (لواء الإسلام)، وتأسيس بعض الجمعيات؛ مثل (الشبان المسلمين)، (الهداية الإسلامية)، (تعاون جاليات إفريقية الإسلامية)، (الدفاع عن إفريقية الشمالية)، تنوعت مؤلفاته بين كتب ومقالات وبحوث في مختلف العلوم الدينية والعربية ومجالات الإصلاح الاجتماعي بالإضافة إلى أشعاره، وقد اعتنى بها وجمعها ابن أخيه المحامي علي الرضا الحسيني، وطبعها دار النوادر.

قضى حياته - رحمته الله - في خدمة الدين، ونشر علومه، والدفاع عنه، وإزاحة الشبه المشككة، والرد على المزاعم المضللة، ساعده في ذلك عمق ثقافته الدينية، وسعة اطلاعه في العلوم الدينية والعربية، يشرع في كتابة موضوع ما؛ فيسرد فيه آراء المتقدمين والمتأخرين، ثم يذكر رأيه مدعماً إياه بالأدلة والشواهد ما استطاع، ويتطرق لما ورد أو قد يرد حول الموضوع من شبهة أو اتهام؛ فيرد عليها بأسلوب أدبي بليغ تغشاه الأدلة والبراهين؛ مما يحقق الإقناع والإمتاع.

اهتمامه باللغة العربية:

اهتم الإمام الخضر - رحمته الله - بالعلوم الدينية، وترك إرثاً ضخماً من المؤلفات في مختلف العلوم الدينية، وكذلك في علوم اللغة العربية، وكرس حياته للدفاع عن الإسلام ولغته، وجاء اهتمامه باللغة العربية من منطلق ديني خالص؛ حيث إنها أداة لفهم العلوم الشرعية، فضلاً عن قيمتها وثرائها، وتشريفها بكونها لغة معجزة الرسالة، فالاهتمام بها جزء من الهوية الدينية، ترفض الشعوب المسلمة التخلي عنه، يقول: (تأبى هذه الشعوب هجر اللغة العربية، وتحويل ألسنتها إلى لغة أخرى، تأبى ذلك؛ لأنها لغة القرآن، الذي هو معجزة الرسالة، ومطلع الهداية، ولأنها تملك من

(١) الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان

فصاحة الكلم، وحكمة الأساليب، وغزارة المادة ما يجعل خطيبها أو شاعرها أو كاتبها المجلي في حلبة البيان، فلو زهدت هذه الشعوب الإسلامية في اللغة العربية، كانت قد فَرَطت في جنب الله، وأضاعَت من يدها لساناً بلغ في الإبداع أقصى ما يمكن أن تبلغه لغات بني الإنسان^(١).

ويسهب الإمام في حديثه عن فضل هذه اللغة في ذاتها؛ لغزارة مادتها، واعتدال كلماتها، وفصاحة مفرداتها، وتنوع أساليب التعبير فيها؛ ثم زادت فضلاً وثناءً واتساعاً في طرق البيان بنزول الإسلام، يقول: (ومن الجلي أن القرآن الكريم والحديث النبوي قد سلكا في البلاغة مذاهب يتقطع دونها كل بليغ، ثم إن فتح الممالك الكبيرة كبلاد الفرس والروم زاد مجال اللغة بسطة بما نقل إليها من المعاني العلمية والمدنية، ففضّل الإسلام على اللغة العربية يظهر في غزارة مادتها، وبراعة أساليبها، واتساع مذاهب بيانها، وكثرة الأغراض التي يتسابق إليها فرسان الخطابة والكتابة)^(٢).

فاللسان العربي ذات قوة وتميز على سائر الألسنة، يدلل الإمام على ذلك بما شهد به علماء العرب الدراسين للغة العربية كابن جني في كتابه الخصائص، وما شهد به العرب ذوو الأصل الأعجمي، الذين قارنوا بينها وبين لغتهم الأم، وكذلك ما شهد به المستشرقون، يذكر الإمام قول المستشرق أرنست رينان في كتابه "تاريخ اللغات السامية": (من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرّحل. تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها. وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت، ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغيير يذكر، حتى إنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة - لا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها

(١) دراسات في العربية وتاريخها للإمام الشيخ محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠، ص ١٨.

(٢) السابق ٢١.

وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة^(١).

ويبين الإمام سبب النقص الذي اعترى اللغة في عصرنا، والتباطؤ الذي لحق بها عن مسaire المدنية والعلوم؛ مما دفع البعض للدعوة لإيثار غيرها عليها، وذلك ليس لعجز بها، وإنما سببه الرئيس هو غفلة المعهود إليهم بالقيام على حياة اللغة، ومسائرتها للعلوم والفنون والمدنية؛ ومن هنا تأتي الحاجة إلى ضرورة إقامة مجمع لغوي، ينهض باللغة، ويعيد لها نشاطها، ويجعلها تسير الحضارة كتفا إلى كتف، كما حدث مع لغات أخرى.

وأسهب الإمام في حديثه عن الاهتمام باللغة بالعربية في المقالات والبحوث المختلفة، كما نظم قصائد^(٢) تبين فضل العربية، وتدعو للتمسك بها، ومن أبرز أبحاثه (القياس في اللغة)، تحدث فيه عن أشكال القياس، وحاجة العربية إليه^(٣).

اهتمامه بالبلاغة العربية:

أولى الإمام البلاغة العربية من بين علوم العربية اهتماماً خاصاً، وسبب ذلك مرده إلى أمور: الأول: إن ما تميزت به اللغة العربية من البلاغة وحسن البيان هو سبب الإبهار بها، يقول: (حسن

(١) دراسات في العربية وتاريخها ص ٢٣.

(٢) ديوان خواطر الحياة، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠، ص ٧٠-٩٦-١٩٦.

(٣) (القياس في اللغة) بحث نشره بمجلة "المنار" في سنة ١٩٢٢ م، ثم أصدره في كتاب يحتوي على ١٢٠ صفحة، وذلك في سنة (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م). وهو نفس البحث الذي قدمه -بعد ذلك- إلى هيئة كبار العلماء، فقبلته بالإجماع، وأسندت له عضويتها سنة ١٩٥٠ م، وقد جمعه ابن أخيه المحامي علي الرضا الحسيني مع بحوث أخرى في النحو ومقالات حول اللغة العربية في كتابي: دراسات في العربية وتاريخها، ودراسات في اللغة.

البيان الذي جعل في العرب قوماً يُذكرون بإعجاب، وجعل الناس يتنافسون في رواية أقوالهم، والاطلاع على أسرار تراكيبيهم^(١)، الثاني: توافر هذه البلاغة في القرآن الكريم إلى حد جعلها على قمة وجوه إعجازه، وباعثاً قويا للإيمان به، يقول: (وأما المعجزة، فهي ما يدركه أولو الأبواب من بلوغه في حكمة المعاني، وسمو المقاصد، وفصاحة الكلم، وجودة النظم غايةً فوق ما تنتهي إليه طاقة البشر، وذلك ما يدل قوله تعالى: {قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨].

وكثير من حكماء العرب وبلغائهم يسمعون القرآن، فيدخل الإيمان في قلوبهم من غير حاجة إلى أقيسة منطقية: شرطية أو جمالية؛ ذلك أنهم يتلقون الدعوة وهي محفوظة بدلائل الصدق من كل ناحية، وليس بينهم وبين الاهتداء بهذه الدلائل سوى التنبه لوجه دلالتها^(٢).

وأرى أن الإعجاز البلاغي للقرآن هو السبب الرئيس وراء اهتمامه بالبلاغة العربية؛ أي أن المنطلق الديني هو الأساس في ذلك؛ ولذلك خصص الإمام للحديث عن بلاغة القرآن كتاباً أسماه (بلاغة القرآن)، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً بإذن الله.

ويرى الإمام في دراسة البلاغة والتمرن على أساليبها فوائد أخرى دنيوية، تصب أيضاً في الجانب الديني، منها العمل على نشر العلم والتجيب فيه من خلال ذبوع شهرة العلماء من أرباب البيان، والتفاف المتعلمين حولهم، يقول: (ولو سألت التاريخ عن العلماء الذين طار صيتهم في الآفاق، أو تركوا آثاراً لا تضعها يد إلا تناولتها يد أخرى، لوجدت معظمهم من العلماء الذين

(١) الخيال في الشعر العربي، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠، ص ١٦١.

(٢) محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠، ص ٩١.

خاضوا غمار أدب اللغة، وبلغوا فيه غاية سامية. ذلك أن أدب العالم يجذب إلى مجالسه الأذكياء من الطلاب، فيبذر علومه وآراءه في عقول خصبة، ويساعده على أن يقرر الحقائق بعبارات رصينة أنيقة، فتقع من النفوس وقع العذب الفرات من الكبد الحرّى^(١)، والبلاغة أداة للإصلاح والدعوة إلى الفضائل، وكشف المفسدين، وحماية الناس من خطرهم، يقول: (إذا كان أولو الأنظار السليمة يعرفون الحق في أي عبارة ظهر، ويدركون الحجة في أي مقال وردت، فإن في الناس من يرد عليه الباطل في زخرف من القول، فيحسبه حقاً، وتعرض له الشبهة في حلية من محاسن البيان، فلا يرتاب في أنها حجة، ذلك لأنه يتخيل أن بين البراعة في القول والسداد في الرأي صلة لا تنقطع، فلا تراه يزن المعاني بميزان المنطق ليعلم صحيحها من سقيمها. وهؤلاء الذين يستهويهم رونق الألفاظ أكثر من حكمة معانيها، ليسوا بقليل، فلا ينبغي لنا أن نستخف بهم، وندعهم لعصبة المضلين، يعرضون عليهم الآراء المنحدرة بهم في شقاء، وإذا لم يكن لأولئك المضلين سبيل على المستضعفين سوى أنهم يحبرون لهم القول تحبيراً، فمن الميسور لدعاة الإصلاح أن يسابقوهم في مضمار البراعة، فإنهم متى ألبسوا الدعوة إلى الحق والفضيلة أساليب بديعة، أحرزوا الغاية، وأنقذوا أولئك المستضعفين من ضلال بعيد، وقد كان رسول الله - ﷺ - يتخير لإبلاغ رسالته الملوك والرؤساء من عرفوا بالحكمة وفصاحة اللهجة)^(٢).

ولهذه الأسباب المذكورة التي تحوم كلها حول الجانب الديني - الذي ينصلح تباعاً له الجانب الدنيوي - نرى الإمام يهتم بالبلاغة، ويحث على مدارس أساليب البلغاء.

(١) الدعوة إلى الإصلاح، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط١، ٢٠١٠، ص ٦٥.

(٢) السابق ٦٦.

وقد خصص من محاضراته للحديث عن نشأة البلاغة^(١)، وتأسيس علومها لدى العرب منذ الجاهلية، فهناك من ادعى أن علم البديع من صنع المتأخرين، وأن الجاهليين لم يكن لديهم معرفة به، ونرى الإمام يذكر ردود العلماء بوجود البديع منذ الجاهلية، وندرته لا تنفي وجوده، وإنما اتسع في عهد المحدثين، ويؤيد هذا الرأي موضحاً أن ورود البديع في كلام المتقدمين كان عفواً بلا تكلف، أما المتأخرون فقد أكثروا منه، وتأنقوا فيه؛ مما لفت الأنظار إليهم، وهناك ادعاء أكبر صدر من أحد الأساتذة حول نشأة علم البيان، وأن صناعته نشأت عند أهل الكلام ومن ملاحظتهم، وقد فصل الإمام القول في الرد عليهم بالحجة والبرهان وعرض الآراء والشواهد، ويقر الإمام في بداية رده على هذا الرأي بوجود تأخر في تأليف علوم البلاغة، وتقرير قواعدها عن النحو، وسببه هو طبيعة قواعد النحو من وضوحها ومعرفة العرب بها وتساويهم في استخدامها، وكونها تعرف بالاستقراء، ولا دخل للذوق فيها، فأول ما تسرب للحن شعروا به، وبدؤوا في تقرير القواعد بخلاف البلاغة واختلاف مراتب طبقاتها بين العرب، واعتماد الذوق كعامل رئيس في البصر بها؛ مما جعل المؤلفين فيها أقل من المؤلفين في علم النحو، ولكن هذا لا يعني عدم وجود قواعد البيان منذ الجاهلية، بل كانت موجودة ومعمولاً بها بدليل الثروة الهائلة من أقوال البلغاء عن محاسن الكلام ومعانيه الموثقة في بطون الكتب، وأيضاً علماء النحو كانوا يعرجون في كتبهم على وجوه البيان ومحاسنه، وكل ذلك كان الأساس الذي قام عليه التقعيد لاحقاً، ومذهب الإمام في الرد على

(١) للإمام محاضرتان في الحديث عن نشأة علوم البلاغة، والرد على أستاذ بالجامعة المصرية (لم يذكر اسمه) حول نشأة علم البيان، ينظر: محاضرة الإمام في نادي جمعية الهداية الإسلامية، ونشرت في مجلة "الهداية الإسلامية" في الأجزاء: العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر من المجلد الأول. لعام ١٣٤٨ هـ. - ومحاضراته في نشأة علوم البلاغة، ألقاها في نادي جمعية الهداية الإسلامية، ونشرت في الجزأين الثاني والثالث من المجلد الثاني من مجلة الهداية الإسلامية.

هذه الادعاءات هو تحليلها، وتفنيدها بالأدلة والبراهين، يقول: (فإننا أمة بحث واستدلال، لا نفتتن بزخرف الأقوال، ولا بمظاهر القائلين، ولا نقبل الآراء إلا أن تخرج في نور من الحجة مبين)^(١).

الذوق البلاغي^(٢):

يعرف الإمام الذوق البلاغي بأنه: الملكة التي تتربى بممارسة كلام البلغاء، والتنبه لما تكنه تراكيهم من المعاني الدقيقة، وذكر شواهد عديدة من كتاب "دلائل الإعجاز" تدلل على اختلاف الأذواق بين الأدباء، ويبين أن هذا أمر طبيعي؛ يترتب عليه اختلاف الأساليب، بل قد يغفل من أرباب البلاغة وذوي الذوق السليم عن وجه الاستحسان أو عدمه في موضع ما، ويفطن إليه غيره؛ لاختلاف الأساليب، وهذا يعتد به في بلاغة البلغاء، ومن هنا يفرق بين نوعين من الذوق البلاغي: نوع يعتد به بتبديل الألفاظ وفق الذوق الخاص وهو كلام البلغاء من البشر، ونوع لا يعتد به فيه بالتبديل وفق الذوق الخاص وهو ألفاظ القرآن الكريم.

والإمام بحديثه يومئ إلى ضرورة مدارس كلام البلغاء، والتدرب على تذوقها، وتقبل اختلافها؛ لتكوين شخصية ناقدة، تجيد الحكم على الأساليب، ويكون لها أرحب مجال في التنقيح والانتقاء، حتى إذا ما وعتها تهيأت للنظر في كتاب الله، وأدركت بعد الكلامين بعد ما بين المشرقين.

(١) المحاضرة الأولى من (نشأة علوم البلاغة).

(٢) دراسات في الشريعة، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠، ص ٦٥: ٧٠ بتصرف.

المبحث الأول: بلاغة القرآن.

فرَّغ الإمام الخضر -رحمته الله- حياته، وأخلص جهده لدراسة علوم الدين الإسلامي، يشهد بذلك العباب الزاخر من مؤلفاته، ذات الدلالة البينة على سعة اطلاعه، وعظم اهتمامه بها، وجاء اهتمامه بعلوم اللغة تبعاً لاهتمامه بعلوم الدين؛ لما بينهما من رابطة قوية لا تنفك عراها، والمطلع على كتابه (بلاغة القرآن) يلاحظ تضمن الكتاب مباحث أخرى غير البلاغة، كتفسير القرآن وترجمة معانيه وقصص القرآن، واختصاص الجانِب البلاغي في التسمية دون غيره؛ لكون الإعجاز البلاغي أظهر وجوه إعجازه، وهو أقوى البراهين دلالةً، وأملؤها للقلوب يقيناً على صدق رسالة الإسلام، كما أنه ربط بين المباحث الأخرى وبين بلاغته، ومجمل حديث الإمام عن بلاغة القرآن أن بلاغته تكمن في فصاحة مفرداته، ومتانة نظمه، وانتظام دلالاته، فمفرداته محكمة الوضع، خفيفة الوقع على السمع، وأما متانة نظمه، فقد بلغت الغاية في وضع كل كلمة بموضعها اللائق بها، فتبدو كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء، وأما انتظام دلالاته على ما يقصد إفادته وإحضاره في الأذهان، فإنك ترى فيه التشابيه الرائعة، والأمثال البارعة، والاستعارات الطريفة، والمجازات اللطيفة، والكنائيات المنقطعة النظير، والتعريض الذي يقتضيه المقام، فيكون أقرب إلى حسن البيان من القول الصريح.

ويدعو الإمام إلى التدبر في آيات القرآن، والتزود بما يعين على استجلاء أسرارها من دراسة اللغة العربية وعلومها؛ حتى يزول عن النفس الريب في وجود آياتٍ مشككة، أو متشابهة في القرآن، يقول: (والحق الذي لا مرية فيه: أن لا إشكال في القرآن عند من يتدبره بروية، ويأتي إلى التفقه فيه، وقد تزود بقوانين لغة العرب، واستضاء بمعرفة فنون بيانها، وليس في القرآن متشابه على معنى أن في الآيات ما لا يظهر تأويله للناس؛ بحيث يتلونه، أو يستمعون إليه، ولا يعودون بفائدة علمية أو

(أدبية)^(١).

ويؤكد الإمام على ضرورة التدبر وإمعان النظر في معاني القرآن؛ لما له منافع تعود على الفرد بالخير الكثير في الدنيا والآخرة، يقول: (فإنك تنظر في الآية، وتدبر المعنى الذي سيقى من أجله، فتعود منها ويدك مملوءة من الفوائد التي تقع إليها؛ من حيث تقرر شريعة، أو تقييم حجة، أو تلقي موعظة، أو ترسل حكمة، إلى نحو هذا مما تستبين به سبيل الرشد، وتنظم به شؤون الحياة، وترتفع به النفوس إلى أعلى درجات الفلاح في دنياها وآخرتها)^(٢).

ويولي الإمام الأمثال عناية في حديثه عن بلاغة القرآن؛ لما لهذه السمة الشائعة من أثر بليغ في تلقي الدعوة بالقبول، ويتبع الإمام تعريف العلماء للمثل، فذكر له من كلامهم أربعة معاني: الأول معناه في أصل اللغة بمعنى التشبيه والمثل، الثاني: ثم قولهم للقول السائر الممثل مضربه بمورده: مثلاً، الثالث: الشأن الغريب، والقصة العجيبة؛ المعنى الرابع: ذكره بعض أهل البيان؛ وهو (المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله)^(٣).

ويتساءل الإمام عن أي من المعاني الأربعة السابقة أريد بأمثال القرآن، ويرجع في ذلك إلى كلام من العلماء، وإلى معاني الآيات التي استعمل فيها القرآن كلمة المثل، فالإمام السيوطي نقل عن الماوردي ما يفهم على أن أمثال القرآن الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة، أم بطريق التشبيه الصريح، وزاد الشيخ السيوطي بأن قسم

(١) ينظر: بلاغة القرآن، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠، ص ٨.

(٢) السابق ص ٨.

(٣) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن عربشاه عصام الدين الحنفي، ت: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢/ ٢٩٦.

الأمثال إلى أمثال صريحة، وأتى لها بأمثلة من الآيات المشتملة على تشبيه حال شيء بحال شيء آخر، وأمثال كامنة: وهي أقوال لا تشتمل على استعارة أو تشبيه، وقد نقلها بأمثلتها عن الماوردي، فقال: (وأما الكامنة، فقال الماوردي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسن بن الفضل، فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله: "خير الأمور أوسطها"؟ قال: نعم، وأورد آيات تتضمن معنى المثل، منها: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧] (١)، ومثل لها بأمثلة أخرى.

ويتعرض الإمام إلى ما سلكه ابن القيم في تقدير أمثال القرآن، وهو لم يبعد كثيراً عما ذهب إليه الشيخان السيوطي والماوردي، فقال: (إن أمثال القرآن وردت في تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر، ورد أكثرها على طريقة التشبيه الصريح؛ أو التشبيه الضمني، ونجد من بينها ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة؛ كقوله تعالى: {يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: ٧٣]. فقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا} قد سماه الله: مثلاً، وليس فيه استعارة، ولا تشبيه (٢).

ويخلص الإمام بعد عرضه لآراء العلماء، ونظرة في معاني الآيات إلى أن: أمثال القرآن تعني ما

(١) بلاغة القرآن ص ٣٤ - والإنتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ٤/٤٤ وما بعدها.

(٢) بلاغة القرآن ٣٦ - وإعلام الموقعين من رب العالمين، الإمام ابن القيم، ت: محمد عبد السلام هارون، ط ١، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١، ١/١١٦.

يضره الله للناس من أقوال تتضمن ما فيه غرابة؛ من تشبيه، أو استعارة، أو قصة، ويدخل في هذا كل ما سماه القرآن قبل ذلك أو بعده: مثلاً، بل ويعد في أمثال القرآن كل ما اشتمل على تمثيل حال شيء بحال آخر، مستشهدا بكثير من الآيات.

ويذكر الإمام فوائد لضرب المثل في القرآن، مثل: تقرير حال الممثل في النفس؛ حيث يكون الممثل به أوضح من الممثل، أو يكون للنفس سابقة ألفة وائتناس به، أو للترغيب في الممثل؛ حيث يكون الممثل بهما تستحسنه النفوس، وترغب فيه، ويضرب المثل للتعريف؛ حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس، وتنفر منه، ويضرب المثل لمدح الممثل؛ حيث يكون في الممثل به صفات تستحسنها النفوس، وتمدح من يحرز مثلها، ويضرب المثل للذم؛ حيث يكون للممثل به صفة يستقبحها الناس، ويذمون من رضي لنفسه بمثلها، ويضرب المثل في مقام الاحتجاج؛ حيث يلزم من تسليم الممثل به وإدراك أن الممثل مطابق له الرجوع إلى الاعتقاد بالحق، ومن بديع أسلوب القرآن في ضرب المثل: الإيجاز البديع الناشئ من تحقيق فائدتين عظيمتين؛ الأولى: مقاصد الجمل من وراء استعمالها في معانيها الحقيقية، الثانية: الغرض من ضربها مثلاً.

ويطرح الإمام سؤالاً حول لزوم وقوع صورة الممثل به فيقول: إذا ضرب الله مثلاً، فهل يجوز أن يراد من ذلك المثل: المعنى الذي سيق من أجله؛ نحو: التقرير، أو التحسين، أو التقييح، ولا يلزم أن تكون صورة الممثل به واقعة في نفس الأمر؟!

ويجيب عليه من خلال ذكر آراء العلماء حوله، فقد ذهب فريق إلى جواز ذلك، مثل الإمام الزمخشري وهو ينكر أن يصرع الشيطان الإنسان - يقول في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة: ٢٧٥]: "تخبط الشيطان من

زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرعه، فورد على ما كانوا يعتقدون^(١). وهناك رأي جمهور أهل السنة، ومفاده: أن الله لا يضرب المثل إلا بما يقع، حتى إذا ضرب المثل بشيء، أمكننا الاستدلال بالتمثيل على وقوع ذلك الشيء، ويؤيد الإمام هذا الرأي معللاً بقوله: (وقد يضرب القرآن المثل بأمر موجود على حال حُسن أو قُبْح، والناس يعتقدونه على ما هو عليه من حسن أو قبح، وإن لم يروه بأبصارهم، ولكنه يحضر في أذهانهم بصورة جميلة، أو صورة قبيحة، فيكون التمثيل به تمثيلاً بأمر موجود، وصورته الحاضرة في الأذهان مطابقة للواقع من حيث حسنها أو قبحها، ومثل هذا قوله: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [الصفات: ٦٤، ٦٥]، فالشيطان شخص حي، ولكن المخاطبين لم يروه بأبصارهم، وجاء التمثيل في هذه الآية على ما اعتقدوه اعتقاداً مطابقاً من قبح صورته.

وعلى هذا النحو يجري التمثيل بالملك في قوله تعالى: {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف: ٣١]، فإن التمثيل جار على ما تصوره من حسنه، وهذا التصور صادق لا محالة^(٢).

وينكر الإمام على من يقول على قصة من قصص القرآن تتضمن واقعة؛ إنها وردت على طريقة التمثيل دون دليل إثبات على ذلك، كما قال البعض في قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وسجود الملائكة له، ويبين الإمام أن ذلك تأويل جامع مخالف للغة العرب التي نزل بها القرآن والتي لا تقول بالتمثيل إلا بقريئة واضحة، ويزداد الأمر خطورة عندما يتخذ أصحاب الأهواء ذريعة لإنكار الحقائق دون بينة. وعلى الرغم من دعوة الإمام إلى التدبر في آيات القرآن، والتنقيب عما به من جواهر مخبوءة، ومنافع لا تنقطع، نراه يتحفظ في بعض الأمور الخاصة باستخدام الآيات القرآنية مثل التمثيل بالآيات

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام الزمخشري، ت: مصطفى حسين

أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧، ١/ ٣٢٠

(٢) بلاغة القرآن ص ٤٣.

القرآنية التي تجري مجرى المثل^(١)، ويفصل الإمام بجواز استعمال أمثال القرآن في مقام الوعظ، وتعلم الحكمة كما نص عليه بعض المفسرين وأعدم جواز ذلك في المزح والكلام الخالي من الحكمة مؤيدا لمن عده من العلماء خروجاً على أدب القرآن؛ لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به، بل يتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه.

وكذلك الاقتباس يذكر ما رآه بعض الفقهاء عنه بأنه مأس بقداسة القرآن، فهو محرّم عنده بإطلاق، وتحقيق ذلك عند الإمام: أنه في الدعاء أو الموعظة والحديث الذي يراد به تعليم الحكمة جائز. واستعماله في المزاح والكلام الذي لا يكون معه القلب خاشعاً لله كالغزل والهزل لا يجوز، فالإيمان يقضي بتجنب ذلك؛ فهو إعراض عن الحق إلى ضلال مبين^(٢).

وبيّن الإمام الخضر -رحمته الله- الصلة القوية بين علمي التفسير والبلاغة، وأن العلم بفنون البلاغة من أدوات المفسر؛ حتى يسلم تفسيره من خلل الرأي وفساده، يقول: (من شرائط المفسر للقرآن: أن يكون ملماً بفنون البيان، ذا المعية مهذبة تسعده على أن يعرف المواضع التي تفهم فيها الألفاظ على حقائقها، والمواضع التي يليق ببلاغة القرآن أن تفهم فيها على المجاز، أو التمثيل)^(٣). ومما يتصل ببلاغة القرآن ترجمة القرآن إلى لغة أخرى، وخلص الإمام -رحمته الله- بعد أن عرض

(١) هذا الضرب من الآيات أورده علماء البلاغة في مبحث التذييل من باب الإطناب، والتذييل: هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد، وهو ضربان: ضرب لم يخرج مخرج المثل، لعدم استقلاله بالإفادة، وضرب خرج مخرج المثل؛ بأن تكون الجملة الثانية حكماً كلياً منفصلاً عما قبله، جارياً مجرى الأمثال في الاستقلال وفشو الاستعمال. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ٢٠٥/٣.

(٢) بلاغة القرآن ٦٣.

(٣) السابق ٢٧.

آراء العلماء إلى أن ترجمة القرآن بمعانيه الأصلية غير متيسرة لعدة أسباب، أهمها إذهاب الترجمة بروق حلته البلاغية، يقول: (وإذا كان للقرآن معانٍ أصلية، وأخرى تابعة، وهي مظهر بلاغته، وملاك إعجازه، فإن ترجمته بالنظر إلى المعاني الثانوية غير ميسورة، إلا أن توجد لغة توافق اللغة العربية في دلالة ألفاظها على هذه المعاني المسماة عند علماء البيان: خواص التراكيب، وذلك ما لا يسهل على أحد ادعاؤه)^(١).

وإذا لم يكن بد من الترجمة؛ لنشر الإسلام بين غير الناطقين بالعربية لابد عند نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية من إشعار القارئ بأن هذا النقل تفسير لا ترجمة، ومن طرق التنبيه: جمل تكتب في حواشي الصحائف يبين بها أن هذا أحد الوجوه، أو أرجح وجوه تحتملها الآية، وعندئذ تكون الترجمة المعنوية أقرب للصواب من الترجمة الحرفية.

فدراسة البلاغة عند الإمام شرط لفهم القرآن، وإدراك إعجازه، والاهتداء به؛ لما لها من أثر بالغ في النفوس، يقول: (وحيث كان لبلاغة القول - بعد حكمة المعنى وقوة الحجج - أثر زائد في توجيه النفوس إلى الصراط المستقيم أنزل الله القرآن كله في أفصح الألفاظ، وأبدع الأساليب، حتى بلغ بحسن بيانه أنه المعجزة الخالدة)^(٢).

(١) بلاغة القرآن ١٢.

(٢) بلاغة القرآن ١٢٧-١٢٨.

المبحث الثاني: البلاغة النبوية.

أفرد الإمام الخضر -رحمته الله- بحثاً، تحدث فيه عن بلاغة النبي الكريم -ﷺ-، أسمائه (البلاغة النبوية)، وبحثاً آخر تحت عنوان (بلاغة القرآن الكريم) تحدث فيه عن بلاغته -ﷺ- في سياق حديثه عن القرآن الكريم، وهو بهذا يربط بين كون القرآن الكريم معجزة كبرى على صدق رسالة الإسلام وبين كونه أصلاً من أصول دلائل نبوة النبي الكريم -ﷺ-، ومعجزة باهرة على صدق نبوته، يقول: (والآيات القائمة على أن محمداً -ﷺ- رسول الله إلى الخليقة حقاً، تكاد تتجاوز حد ما يُستقصى، وهي -على كثرتها، واختلاف مظاهرها- ترجع إلى ثلاثة أصول: القرآن الكريم، والسيرة النبوية، والمعجزات المحسوسة التي تنقل إلينا على طرق ثابتة)^(١)، وينبه على أن التيقظ والتأمل هو طريق الإيمان بهذه المعجزة، (وأما المعجزة، فهي ما يدركه أولو الأبواب من بلوغه في حكمة المعاني، وسمو المقاصد، وفصاحة الكلم، وجودة النظم غايةً فوق ما تنتهي إليه طاقة البشر)^(٢)؛ وقد تهيأت الظروف لاستقبال هذه المعجزة، (ذلك أن البلاغة لعهد البعثة المحمدية قد وصلت إلى درجتها العليا، كان العرب يتنافسون في فنونها، ويطلقون الأعنة في مضمارها، حتى أتى محمد -صلوات الله عليه- بما عجز عن أن يأتي بمثله بلغاء العرب قاطبة)^(٣)، ويبرز الإمام الفرق بين بلاغة القرآن وبلاغة البلغاء من عدة وجوه؛ أولاً: أن بلاغة القرآن لا تتفاوت في أي من فنون القول التي اشتمل عليها على الرغم من اختلافها وتعددتها، بينما تتفاوت بلاغة البليغ في فنون

(١) ينظر: محمد رسول الله وخاتم النبيين، ص ٩٠ - ومجلة الهداية الإسلامية الجزء الرابع من المجلد الثاني،

الصادر في رمضان سنة ١٣٤٨.

(٢) السابق ٩١.

(٣) السابق ٩٢.

القول، فإذا أجاد في بعضها أخفق في غيرها، يقول الإمام: (وترى البليغ من البشر يخوض في فنون من الكلام متعددة، فإذا هو يرتفع في فن، وينحط في آخر، ولكن القرآن الكريم يتصرف في فنون كثيرة؛ مثل: الوعد، وإقامة الحجج، وشرع الأحكام، والوصف، والوعد والوعيد، والقصص، والإنذار، وغير ذلك من الوجوه التي تتصل بالهداية العامة، فلا تتفاوت فيها ألفاظه الرشيقة، وأساليبه البديعة)^(١).

ثانياً: قصور بلاغة البلغاء عن الخوض فيما تناوله القرآن من الحقائق الدينية البعيدة عن المبالغة والتخييل، (والمعروف أن القرآن أتى بحقائق أسس بها شريعة واسعة النطاق، وليس من شأن هذه المعاني أن تظهر فيها براعة البلغاء كما تظهر فيما ألفوه من نحو: المديح، والرثاء، والتهنئة، والغزل، ووصف المشاهد، إلى غير ذلك مما يطلقون لأفكارهم فيه العنان، فتذهب مع الخيال كل مذهب، وترتكب من المبالغات ما استطاعت أن ترتكب، والقرآن الكريم يعبر عن تلك المعاني التي تستدعي صدق اللهجة، وصوغ الأقوال على أقدار تلك الحقائق، فترى الفصاحة ضاربة أطناها، والبلاغة مرسلتها)^(٢).

ثالثاً: سهولة الحكم بوجود التصنع من عدمه في كلام البلغاء عند النظر لمستوى الجودة والرداءة وما بينهما يستحيل ذلك عند النظر في كتاب الله، (في بلغاء البشر من تحس من شعره أو خطبته أو رسالته أنه لم يكن يتصنع فيما يقوله، ذلك أنك تجد في كلامه: الجيد، والوسط، والردىء، وفيهم من تحس فيما يقوله التصنع، وهذا هو الذي يغلب على كلامه المنظوم أو المنثور الجودة في تصوير المعنى، والتعبير عنه بكلام موزون، أو غير موزون، ولكن القرآن الكريم بالغ الغاية من حسن البيان، فلا يجد فيه الراسخ في نقد المنشآت البليغة ما ينزل عن الدرجة العليا، بل يحس روح البلاغة

(١) بلاغة القرآن ٨.

(٢) السابق ٩.

التي لا يحوم عليها شيء من التصنع سارية في آياته وسوره، سواء في ذلك تصويره للمعاني، أو نظم الألفاظ الناطقة بها^(١).

رابعاً: بلوغ القصة الواحدة مرتبة سامية من البلاغة لا تتفاوت في مواطن تكرارها، بينما تتفاوت منزلة القصة في مواطن تكرارها في كلام البليغ، (من مظاهر بلاغة القرآن: أنه يورد القصة في أوفى درجة من حسن البيان، ثم يعيدها في سُورَة أُخرى على حسب ما يقتضيه مقام الوعظ، حتى إذا عقدت موازنة بين حكايتها هنا، وحكايتها هناك، وجدتهما في مرتبة واحدة من البلاغة، لا تنزل إحداهما عن الأخرى بحال، أما البليغ من البشر، فقد يسوق إليك القصة في عبارات أنيقة، ثم يريد أن يعيدها مرة أخرى، فإذا هي في درجة من البراعة منحطة عن درجتها الأولى)^(٢).

ويؤكد الإمام الإعجاز القرآني بطريق آخر؛ حين يعقد مقارنة بين البلغاء أنفسهم المتفوقين منهم والبارعين، فيبين أن الاختلاف بينهم يسير، بينما يتسع الاختلاف بشكل كبير بينهم وبين القرآن، يقول: (وإذا نظرت إلى الأفراد الذين يفوقون أقرانهم فصاحة وبلاغة، ويصبح كل واحد منهم علمًا في عصره يشار إليه بالبنان، لم تجد منزلتهم بعيدة من منازل البارعين من غيرهم بعد أن يجعلها خارقة للعادة، كالبعد ما بين منزلة القرآن ومنازل غيره من منظوم الشعراء ومنثور الخطباء)^(٣)، ويبين أن فضل تفوق الإسلاميين أو المحدثين على بلغاء العرب عهد البعثة مرده إلى بلاغة القرآن؛ (وإذا بدا لنا أن في الإسلاميين أو المحدثين من يفوق بلغاء العرب يوم البعثة، فالفضل في هذا عائد إلى القرآن؛ إذ كانوا يهتمون بنور بيانه، ويجتهدون في أن ينسجوا على منواله، وهم على ما سنه القرآن من طرق الإبداع، وأدناه من قطوف البيان، لم يستطيعوا أن يأتوا بما يداينه، فضلاً عما

(١) بلاغة القرآن ١٠.

(٢) السابق ١٠.

(٣) محمد رسول الله وخاتم النبيين ٩٣.

يقف بجانبه)^(١).

ويتحدث الإمام عن بلاغة النبي الكريم - ﷺ - وقد هيا لها بحدِيثه عن بلاغة القرآن والفرق بينه وبين بلاغة البشر، والنبي الكريم هو أبلغ البشر على الإطلاق، (ومن أعظم ما يبهر العقول من خصال كماله - ﷺ - : خصلة فصاحته وبلاغته، لا يدعو رسول الله إلا إلى حق، ولا ينطق إلا بحكمة، وأعطي مع هذه العصمة أسمى ما يمكن أن يصل إليه البشر من فصاحة وحسن بيان؛ فإن الحكمة التي تلقى في أسلوب بليغ، تنفذ إلى القلوب قبل أن تنفذ إليها الحكمة التي تلقى في عبارة غير بليغة، وإن الحق ليعتمد على الحجّة، ولكن حسن البيان يسعد الحجّة في جعل الحق أقرب إلى النفوس، وأنفذ في القلوب)^(٢)، ويوضح الإمام أسباب فصاحته - ﷺ -؛ وهي تتلخص في: (الفيض الإلهي، وجمع الرسول الأكرم بين جزالة كلام البادية؛ بسبب نشأته في بني سعد أرباب الفصاحة، ورونق كلام الحاضرة؛ بسبب نسبته لقريش أفصح العرب، وأيضا لنزول القرآن الكريم عليه، وهو البالغ مرتبة الإعجاز، أثر كبير في سمو فصاحته، وسعة علمه واطلاعه على لهجات العرب، وكان يمارس هذه اللهجات في خطاب الوفود ومراسلة القبائل)^(٣)، وتتجلى فصاحته - ﷺ - في محاوراته وخطبه ورسائله وفتاويه من وجوه: (أولها: ما ساقه فيها من حكم بليغة، الثاني: ما أورده في كلامه من الأمثال التي يضربها؛ لإخراج المعاني في صورة المحسوسات، أو إخراج المحسوسات الخفية في صورة المحسوسات الجلية. وما تفرّد به من تشابه واستعارات سهلة المأخذ، بعيدة عن التصنع، بديعة في إعطاء المعنى صورة تجعله أوضح ما تكون، أو تزيد النفوس ترغيباً فيه، أو تنفيراً

(١) محمد رسول الله وخاتم النبيين ٩٣.

(٢) السابق ١٧٧.

(٣) السابق ١٧٨-١٧٩ بتصرف.

منه، الثالث: الأسلوب العفوي، الرابع: تسنم حديثه أعلى مراتب البلاغة في جميع الأحوال حتى في حديثه مع الأفراد، وفي المعاني السهلة الفهم، الخامس: الإيجاز في غالبية حديثه، وربما خطب فأطنب بما يقتضيه المقام، السادس: إلقاءه الكلام مفصلاً دون عجل^(١).

ويظن الإمام إلى أن فصاحة النبي - ﷺ - قد تغري البعض إلى الادعاء بأن القرآن من تأليفه - ﷺ -، ويصفهم بأنهم بعيدون عن الإنصاف فاقدون للذوق البلاغي، ويبين الفرق بين حديث النبي والقرآن الكريم من عدة وجوه، أفاض فيها وذكر لها الشواهد الكثيرة، وهي تتركز في: (الوجه الأول: ما احتواه من الأخبار عن أمور من قبيل الغيب، وظهرت بعدُ كما أخبر، والله هو عالم الغيب. الوجه الثاني: قوة حجج القرآن العقلية لكونها واردة على المنطق الصحيح، وخاصة في آيات إثبات الألوهية. الوجه الثالث: غزارة حِكَمِ القرآن ونبوغها، فهي مليئة بالدعوة إلى الخصال الحسنة ومكارم الأخلاق بما يحقق أسباب السعادة والسمو والسيادة للفرد والجماعة، وتحرز الأمة قوة معنوية، وأخرى مادية تمكنها من غلبة أعدائها. الوجه الرابع: ما أتى فيه من كلمات العتاب لرسول الله - ﷺ - على أشياء فعلها، أو همَّ أن يفعلها، وهذا دليل على أن دعوته لله خالصة، ولو كان محمد - ﷺ - من أولئك الذين يدعون القرب من الله، والكرامة عنده رياء وخداعاً، وكان هذا القرآن من تأليفه - كما يزعم الجاحدون - لوجد نفسه في غنى عن هذه الآيات التي تحمل وتدُلُّ قراءها على أنه فعل خلاف ما هو الأولى^(٢).

ويرى الإمام أن رواية الحديث النبوي بالمعنى التي أجازها كثير من المحدثين حالت دون معرفة الكثير من أسرار البلاغة النبوية، (وقد أجاز كثير من المحدثين رواية الحديث النبوي

(١) السابق ١٧٩: ١٨٢ بتصرف.

(٢) محمد رسول الله وخاتم النبيين ٩٣: ٩٩ بتصرف.

بالمعنى، ولو التزم جميع الرواة نقل الأحاديث باللفظ كما نطق بها - ﷺ -، لعرفنا من فصاحته، وبراعة بيانه أكثر مما عرفنا، وهذه الخصلة من خصال كماله - ﷺ -، وهي الفصاحة، وحسن البيان، تدخل فيما يطلب الاقتداء به.^(١)، ويحث على مدارس الحديث الشريف وغريبه للوقوف على أسرار فصاحته - ﷺ - وحسن بيانه.

(١) محمد رسول الله وخاتم النبيين ١٨٣.

المبحث الثالث: بحوث بلاغية متفرقة.

الخيال في الشعر العربي.

تطرق الإمام للحديث عن الخيال في كتابه (الخيال في الشعر العربي) مبرزاً رؤيته حول أهمية وجوده في الشعر وارتباطه الرئيس بعملية الإبداع الشعري، فهو بمنزلة الروح من الجسد، ومن هنا يرى تعريف النقاد للشعر بأنه كلام موزون مقفى قاصراً على الاهتمام بالشكل دون الجوهر؛ وهو التخيل في الشعر، الذي هو بمنزلة روح الشعر، ويعني بالخيال الفنون البلاغية، يقول: (فالروح التي يُعدُّ بها الكلام المنظوم في قبيل الشعر، إنما هي التشابيه والاستعارات والأمثال، وغيرها من التصرفات التي يدخل لها الشاعر من باب التخيل، أما الوزن الذي جعل النقاد تحققه شرطاً لإطلاق تسمية الشعر فهو من خواص اللفظ، وإطلاق الشعر على الكلام الموزون إذا خلا من معنى تستطرفه النفس، لا يصح إلا كما يصح لك أن تسمي جثة الميت إنساناً، أو تمثال الحيوان المفترس أسداً)^(١).

ويبين الإمام أن الشعر يحظى عن النثر بنصيب أوفر من الخيال، ويمتاز بتوفر أحد أنواعه وهو النوع الذي يهدف إلى قلب الحقائق ومخادعة العقول واستلاب القلوب نحو تصديقها، ويسوق الإمام لذلك أمثلة كثيرة، مبيناً أن استيعاب الشعر لهذا النوع من الخيال كان دافعاً لإطلاق المشركين اسم الشاعر على النبي الكريم - ﷺ - عجزاً منهم وعناداً عن جهرهم بما أقرته نفوسهم ببراءة القرآن من ذلك ومخالفته له، يقول: (ولاختصاص الشعر بهذا النوع من التخيل، أطلق بعض المشركين من العرب على الرسول - ﷺ - اسم الشاعر، ليلقوا في أوهام السذج: أن كلامه من نوع ما يصدر عن الشعراء من الأقوال المموّهة، والتخيلات الباطلة)^(٢).

(١) الخيال في الشعر العربي، ص ٦.

(٢) السابق، ٧.

ثم يتعرض لحديث شيخ البلاغيين الإمام بعبد القاهر عن التخيل، وأنه الطريق الثاني بعد التحقيق من طرق التصرف في المعاني، والتحقيقي: ما يشهد له العقل بالاستقامة، وتتضافر العقلاء من كل أمة على تقريره، والتخييلي: هو الذي يرده العقل، ويقضي بعدم انطباقه على الواقع، إمّا على البديهية، أو بعد نظر، ونتيجة هذه التفرقة عند الإمام عبد القاهر هي إبعاد الاستعارة عن التخيل؛ (ويفهم من وجه التفرقة بين القسمين: أن مجرد الاستعارة عندهم لا يدخل في قسم التخيل، وقد صرح الجرجاني بهذا في كتابه "أسرار البلاغة" ناظرًا في أن المستعير لا يقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة حتى يكون الكلام مما ينبو عنه العقل، وإنما يعتمد إلى إثبات شبه بين أمرين في صفة، والتشابه من المعاني التي لا ينازع العقل في صحتها)^(١).

ويتعرض أيضا لحديث الفلاسفة عن التصرف في المعلومات بالتفصيل والتركيب، ويكون عن طريق قوة نفسية؛ إما مفكرة عندما لا تخرج عن دائرة التعقل، وإما مخيلة عندما تخرج عن دائرته بوجه.

ويهدف الإمام من وراء هذا العرض لآراء البلاغيين والفلاسفة إلى توسيع دائرة الخيال، يقول عن ذلك: (يقول الناس عندما يسمعون بيتاً أو أبياتاً لأحد الشعراء: "هذا خيالٌ واسعٌ" أو: "هذا تخيلٌ بديعٌ"، فيفهم السامع لهذه الكلمات وما يمثّلها: أن لصاحب هذا الشعر قدرة على سبك المعاني، وصوغها في شكل بديع)^(٢). ويسمي الإمام هذه القدرة التي يمتلكها الشاعر بالمخيلة.

ويبين الإمام ما تعتمد عليه المخيلة وهو قوة التذكر، أي تداعي المعاني وخطورتها على الذهن بسهولة، ويرجع الإمام أسباب التداعي إلى ثلاثة أمور: (الأول اقتران المعنيين في الذهن حيث يكون تعلقهما والإحساس بهما في وقت واحد أو على التعاقب، فتذكر الوقائع عندما يخطر بالبال زمانها

(١) الخيال في الشعر العربي ١٠.

(٢) السابق ١٢.

أو مكانها، ومن هنا نشأت الكنايات وبعض علاقات المجاز المرسل، السبب الثاني: التباين، ولهذا أدخل علماء البلاغة في وجوه الوصل بين الجملتين ما يقوم بينهما من التضاد في المعنى، ومن هذا الوجه أيضاً صحَّ لهم أن يعدّوا بين علاقات المجاز المرسل: الضدية. السبب الثالث: التشابه، وهو أن يكون بين المعنيين تماثل في بعض الأمور الخاصة؛ كمن يرى الرجل المقدام، فيتصور الأسد، ويسمع الألفاظ البليغة قد تبرجت في أسلوب محكم، فيذكر الدرر المتناسقة في أسلاكها. وعلى هذا النوع يقوم فن التشبيه والاستعارة اللذين هما أوسع مضمار تتسابق فيه قرائح الشعراء والكتّاب^(١).

ويعزو الإمام السبب في اختلاف الأشخاص حول توالي المعنى الواحد إلى أمرين؛ الأول: العواطف النفسية والميول الشخصية، الثاني: البيئة المحيطة وظروف النشأة.

ويشرح الإمام ما يتم في الذهن بعدما تداعى المعاني فيه المعاني؛ (ينتج عن تداعي المعاني حدوث نوعي التخيل: (التحضيرى والإبداعى)، والتخيل التحضيرى: هو عملية انتخاب المخيلة من المعاني الحاصلة بالتذكر ما يناسب الغرض، والتخيل الإبداعى: التصرف في المعاني المنتخبة بالتأليف إلى أن تنتظم في صورة مستطرفة مثلما يجري في الاستعارة والتشبيه، ويستثنى من الخيال الشعري عقد المشابهة بين أمرين متفقين في وجه الشبه من غير تفاوت؛ كالتشبيه الذي يساق لبيان الاتحاد في الجنس أو اللون، أو المقدار أو الخاصية، فلا يصح نسبته إلى الخيال الشعري، وإن وقع في كلام مقفى، وقد يدخل الخيال في فنون بلاغية أخرى.)^(٢).

ويعدد الإمام المهمات التي يؤديها الخيال موضحاً لها بالشواهد، وهي: (تكثير القليل، تكبير الصغير، تصغير الكبير، جعل الموجود بمنزلة المعدوم، تصوير الأمر بصورة أخرى وأحواله؛

(١) الخيال ١٤: ١٦٠: بتصرف.

(٢) السابق ١٧: ٢١: بتصرف.

كتخيل المحسوس في صورة المحسوس، والمحسوس في صورة المعقول، والمعقول في صورة المعقول، والمعقول في صورة المحسوس^(١).

ويذكر الإمام أن الذوق الفطري سبب رئيس من أسباب التفاوت في جودة الخيال عند الأدباء، وهناك سببان آخران مكتسبان: (الأول: الثقل في حياة المدنية والحضارة؛ لغزارة المادة الناتجة من كثرة الصور وتعدد المناظر، الثاني: الحرية؛ لأن تكبيل الحريات يثبط الشاعر عن إطلاق خياله في أرحب مجال، ومما يسهل على الشاعر التخيل هو الإحساس والتأثر بما يريد النظم فيه)^(٢)، وساق لذلك أمثلة تبرز فضل الإحساس وقوة الباعث في صوغ الخيال في سهولة وجودة.

ويوجه الإمام الناقد لبعض الأمور التي تعينه على القيام بمهمته عند المفاضلة بين الخيال عند الشعراء، وذلك عندما يجب عن تساؤل: بماذا يفضل التخيل؟، فيحصر (المزايا التي يفضل بها الخيال في ثلاث: الأولى: غموض وجه المناسبة بين المواد التي تتألف منها الصورة، الثانية: أن يكون التخيل مبنياً على ملاحظة أمور متعددة، فالصورة التي يراعى في تأليفها ثلاثة معان - مثلاً - تكون أرجح وزناً، وأنفس قيمة من الصورة التي تبنى على رعاية معنيين، الثالثة: استخلاص المعاني وتأليفها على نحو يوافق الذوق السليم، فهو الحافظ لنظام المعاني كما تحفظ القواعد نظام الألفاظ)^(٣)، وهذه المزايا هي التي يتخذها النقد أساساً للحكم والتفضيل، ويشدد الإمام على أهمية الذوق من بين هذه المزايا؛ لأن كبار الشعراء - مع مهارتهم - قد يغفلون عنها، فلا تعصمهم براعتهم من الوقوع في هذا الخطأ، ويبين سبب ذلك في قوله: (ويؤكد لك أن سيئات الشعراء في هذا الصدد، إنما لصقت بهم من جهة عدم نقدهم المعنى بعد أن تقذفه القريحة نقداً وافياً، إما لضيق

(١) الخيال في الشعر العربي من ٢٣: ٢٩ بتصرف.

(٢) السابق ٣٣-٣٤.

(٣) السابق ٣٧: ٣٩ بتصرف.

الوقت، أو اغتراراً بما ملكوا من البراعة، وأحرزوا من الشهرة^(١)، ويرى الإمام أن أخذ الشعراء من بعضهم البعض في الصور والأخيلة أمر مقبول بشرط الابتكار، وهو بذلك يوجه الشعراء إلى الاطلاع على نتاج بعضهم البعض؛ لتقوية الملكات وتبادل الخبرات، وتغذية القرائح لتجود بأطراف الأساليب، ويوجه الناقد إلى كيفية الحكم والمفاضلة بين الشعراء في هذه الحالة، فيبين أن الأخذ على ثلاثة أحوال؛ (أحدها: أن يكون الأصل من المعاني النادرة، والزيادة تساويه في غرابتها، أو تنقص عنه، وهنا لا يكون صاحب الزيادة أرجح ممن أنشأ أصل المعنى قطعاً، ثانيها: أن يكون المعنى الأصلي غريباً، وتكون الزيادة أدلّ منه على البراعة، ويصح لك في هذا الحال أن تقضي بفضل الثاني، ثالثها: أن يكون الأصل من المعاني التي تتناولها القرائح لأول لفتة؛ إذ أصبحت مبدولة ابتدال تمثلك جميل الطلعة بالقمر، والمقدام بالأسد، ويسوغ لك بدون شبهة أن تعد التخيل فيما يرجح به وزن صاحب الزيادة البديعة)^(٢).

ويتحدث الإمام عن الفائدة الأساسية للتخيل، وهي تحريك نفس السامع لتلقي المعنى بارتياح له وإقبال عليه؛ لعرضه المعاني في لباس جديد، ويجليها في صورة بديعة تهتز النفس لوقعها وإن كانت في الأصل تجفوه، (قد يكون للمعنى في ذاته وجه يدعو نفس السامع إلى النفور عنه، وصناعة التخيل تبقي له أثراً لذيذاً في النفس، فتأتيها اللذة من ناحية غير الناحية التي يجيء منها النفور)^(٣)، وعلى الرغم من وجود فوائد أخرى فصلها الإمام، إلا إن هذه الفائدة هي الأعظم أثراً للتخيل؛ إذ بها يتحقق النفاذ للقلوب والتأثير في العقول، كما أنها طريق لتحقيق الفوائد الأخرى، وهي: (تقوية الداعية إلى الأخذ بالشيء؛ حيث يصوره بصورة ما لا يستغنى عنه، أو الحث على

(١) الخيال في الشعر العربي ٤١ .

(٢) السابق ٥٣-٥٤ .

(٣) السابق ٥٦ .

الثبات والصبر على الأمر حيث يخرج في مثال ما لا يمكن بطبيعة هذه الحياة الخلاص منه، أو التحذير مما يرغب فيه، أو تخفيف الرغبة فيه، وتقليل الاهتمام به، أو التسلية، أو إزالة ما يخالط النفس من النفور عن الأمر، أو عده عيباً، أو الدلالة على أن الذي تحكي عنه صفة قد بلغ فيها غاية قصوى، لتستدعي له في نفس المخاطب إجلالاً، أو إشفاقاً، أو تحقيراً له، أو جفاء عنه، ويرجع إلى هذا الغرض كثير من التخييلات الواردة على طريق المبالغة، أو يجيء لإزالة التعجب من أمر غير متداول، وبيان أن وقوعه داخل في حوزة الإمكان، أو يجيء لإيراد المعنى في مثال أوضح، حتى يقع من نفوس السامعين في قرار مكين، أو لتخصيص بعض السامعين أو القارئین بفهم المعنى، إما لفضل ألمعيته، أو لأن في يده من القرائن المساعدة له على الفهم ما ليس في يد غيره، أو لقصده التهكم، وقد يكون الداعي إلى التخييل مجرد التنبيه على ما بين المعاني من المناسبات الخفية، أو مجازة البلغاء، وإقامة الشاهد على الحدق في هذه الصناعة^(١).

ثم يتحدث الإمام الخضر عن نشأة الخيال وتطوره عبر العصور، وهو بهذا يهدف إلى تأصيل وجوده منذ الجاهلية، ويبين سبب ندرته في أدب الجاهلية؛ لاقتصار مشاهداتهم على المناظر الفطرية، ثم أحدث مجيء الإسلام تطوراً كبيراً في الخيال، (ثم بزغت شمس الإسلام، وكان من أساليب القرآن في الدعوة أن ضرب الأمثال الرائعة، وصاغ التشابيه الرائقة، والاستعارات الفائقة، والكنايات اللطيفة، ويضاف إلى هذا: ما كان ينطق به الرسول - عليه الصلاة والسلام - من الأقوال الطافحة بالأمثال والاستعارات والكنايات، التي لم تخطر على قلب عربي قبله، فكان مطلع الإسلام مما زاد البلغاء خبرة بتصريف المعاني، وترقى بهم إلى منزلة سامية في صناعة التخييل)^(٢)،

(١) الخيال ٥٩: ٦٥. بتصرف.

(٢) السابق ٦٧.

ثم واصل مسيرته في العصر العباسي نحو الترقى إلى هذه الأعصر نتيجة الاختلاط وتعدد الثقافات، وقد حافظ على روحه ورونقه على الرغم من اصطباغه ببعض النزعات الفلسفية أو العلمية في بعض الأحيان نتيجة لظروف معينة، ولكنها لم تعد كونها ظفرات فردية عارضة، يقول: (وتماذى الشعر ما بين تخيل فطري، وتخيل فلسفي، وتخيل علمي إلى هذه الأعصر، وإن كان النوع الأول هو الغالب في النظم، والمألوف في التخاطب؛ لأن التخيلين الفلسفي والعلمي إنما يليقان بكلام يوجه به إلى الخاصة من الناس، وأما التخيل الفطري، فيصلح لخطاب الخاصة والجمهور. ثم إن الضرب الفلسفي لم يكن تطوراً في نفس التخيل، وإنما هو تطور لحقه من جهة دخوله في منزع جديد؛ أعني: الخوض في حقائق وسنن كونية على طريق النظر العميق)^(١).

ويختتم الإمام حديثه عن الخيال بدحض تهمة المستشرقين للشعر العربي بقصر خطاه في مضممار الخيال بادعاء خلوه من خيال المحاورات والقصة، فيرد على اتهامهم بوجوده بقوله: (من فنون التخيل: عقد محاورة، أو إنشاء قصة يسوقها الشاعر لمغزى سياسي، أو أخلاقي، أو لغرض التفكه والإطراف بملح الحديث. ويدخل في هذا الضرب كثير من أشعار الغزل التي يخترع فيها الشاعر محاورات بينه وبين الحبيب والطيب والعاذل والواشي والراحلة والأطلال، بل الغزل التقليدي، وهو ما لا يكون صادراً عن عاطفة عشق خاصة، كله معدود في هذا القبيل، وهذا الفن هو الذي يعنيه بعض المستشرقين من أدباء أوروبا حيث يرمون الشعر العربي بقلة الحظ، وقصر الخطا في مضممار الخيال، وقد تعلق به أدباؤنا في منشور كلامهم؛ كمقامات الهمذاني والحريري وغيرهما، ولكن الشعراء لم يحتفلوا به فيما سلف كما احتفل به غيرهم من شعراء أوروبا؛ إذ أفرغوا معظم شعرهم في الروايات التمثيلية، والقصص الموضوعية على لسان حالة إنسان أو حيوان أو جماد)^(٢)،

(١) الخيال ص ٧٠.

(٢) السابق ص ٧١.

ومن هنا فهو يقرر ثراء التراث الشعري بفنون الخيال، والأهم هو إعادة قراءته ، واستخلاص جوهره للنهوض به .

إبداع العرب في التشبيه .

يتحدث الإمام عن التشبيه باعتباره أحد الفنون التي تصرف فيها الخيال ، فكان سبباً في إبداع العرب فيه، وهو من فنون البيان، الذي أكثر منه العرب، وتوسعوا فيها، (والتشبيه جار كثيراً في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد)^(١) ، ويبين الإمام سبب كثرة في كلام البشر بوجه عام بقوله: (الباعث على التشبيه أمر فطري، وهو قصور العبارة عن إيضاح المراد، لهذا لم يختص في أصل استعماله بالبلغاء من الناس، وتناولته الأطفال في حجور أمهاتهم، وأيضاً لم تتميز به لغة دون أخرى، بل فازت اللغات السافلة منه بنصيب)^(٢) ، وكان للعرب فضل السبق في الإبداع فيه، وكانت لهم مقاصد أخرى غير البيان والإيضاح، كمدح المشبه وتزيينه في عين السامع؛ وبلغت الإمام انتباه الناقد إلى ملاحظة المشبه به واختياره، حيث يكون له دلالة في الكشف عن شخصية الأديب، وبيان جوانبها، وعندئذ يجب عليه ألا ينفرد باختياره بعيداً عن المخاطبين ومراعاة حالهم ، يقول: (مما ينبى عليه التشبيه: الاهتمام بشأن المشبه به؛ لأن صانع التشبيه يلتفت أولاً إلى ما استودعه في مخيلته من الصور، فتخطر على مفكرته، وتتسابق إليها على حسب تكررها على ذهنه، وتوجه قلبه إليها، فإذا ضرب مثلاً عند الاستغناء عنه، أو اختاره دون غيره، مع مساواته له في تحصيل الغرض، أشعر بكثرة ملابسته له، وتردده على فكره، فلا غرو أن تستفيد من تشابه الرجل مكان همته، وإلى أين تذهب نفسه في معالي الأمور أو أسافلها، ومن الخطأ الذي يعرض للأديب هنا: أن يجري في تشابهه على ما يلبس خاطره، ويسبق إلى قريحته، ولا يراعي في ضرب المثل حال

(١) الكامل في اللغة والأدب، المبرد، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧، ٣/ ٧٠ .

(٢) دراسات في العربية وتاريخها، ص ١٥٣ .

(المخاطبين)^(١).

وهذا على مستوى الفرد، وإذا أردت على مستوى الجماعة أن تنظر إلى تشابه الأمة وما يضر بونه من الأمثال، وتجدها تعطيك تصورا واضحا عن أفكارهم وميولهم وأهدافهم . ويرى الإمام أن التشبيه تطور عند العرب بفضل قوة الخيال وتصرفها في المعاني ، فلم يعد الفضل في التشبيه البسيط كبيرا؛ فترقوا في ذلك إلى انتزاع الهيئات المفصلة من المركبات في الواقع، أو الإبعاد في اختيار المشبه به ، وإيجاد الشبه بين المتباعدين، وغدا كل أديب يتأق في تشابيهه، ويجعل له طابعا مميز له، ومما ساعدهم على الإبداع توغلهم في الحضارة، يقول: (واتسع العرب في هذا الباب، وتفننوا فيه على حسب توغلهم في الحضارة، ومشاهدتهم للصور الغربية، ولا جرم أن يجد الناظر في تشابه أديب الأمة ما يطلعه على نبذة من أحوالهم المدنية؛ فإن كثيراً من الأشياء يتعالى الأديب عن الحديث في شأنها. إذا ساقها إليك مساق التمثيل بها. حتى تريك التشابه نبذة عن أحوالهم المدنية)^(٢).

ويبين الإمام أن إبداع العرب في التشبيه دفعهم إلى عدم اكتفائهم بمجرد الإصابة في وجه الشبه مالم يصادف ذوقا مقبولا، واستشهد على ذلك ببعض التشابه التي أصاب فيها أصحابها؛ لكنها ردت عليهم استنادا على مخالفتها للذوق العربي.

المجاز والنقل.

تعرض الإمام للحديث عن المجاز باعتباره باب عظيم من أبواب البلاغة، ساعد على نشأته سعة اللغة العربية وغزارة مادتها وقدرتها على مسايرة التطور الحضاري والعلمي نتيجة اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وذكر الإمام تعريف المجاز، وتبع ظهوره عند البلاغيين إلى أن وصل إلى المعنى

(١) دراسات في العربية ص ١٥٤ .

(٢) السابق ص ١٥٦ .

الخاص، الذي جرى عليه تعارف البيانين: (وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة، إما المشابهة أو غيرها)^(١)، ثم ذكر اختلاف البلاغيين حول العلاقة، فبعضهم ضيق الدائرة، وبالغ في تضيقها، فلم يبيح للمولدين - ولو عند تحقق العلاقة - إجراء أي لفظ شأواً ومجرى المجاز، وجعل حظهم من هذا الفن البديع لا يزيد على استعمال الألفاظ التي نطق بها العرب من قبل، ويبين الإمام سقوط هذا الرأي لكونه يتعارض مع سعة العربية وغزارة مادتها، أما جمهور العلماء على أن مدار صحة المجاز يتوقف على تحقق ما كان يراعيه العرب من نوع العلاقات، فلا تقف عند حد الألفاظ التي استعملها العرب في غير ما وضعت له؛ كالأسد والقمر والغيث، فإذا رأيناهم قد نقلوا اسم شيء إلى آخر لعلاقة السببية - مثلاً - جرينا على أثرهم، وساغ لنا أن نتصرف في الألفاظ تصرفهم، فننقل اسم كل سبب إلى المعنى الذي ينشأ عنه، وهكذا في بقية العلاقات، وعلى هذا المذهب جرى أئمة الأدب، ويؤيد الإمام رأي الجمهور؛ (لأنه لو لم يكن باب القياس في المجاز مفتوحاً إلى هذا الحد، لما وجد الشعراء والخطباء في فن البيان متسعاً، ولما أحرزت اللغة من ضروب المجاز والاستعارات هذه الثروة، التي زادت مكانتها رفعة، وآدابها بهاء وسناء)^(٢). وأيضا مما يقوي هذا الرأي أنه لو كان استعمال الألفاظ في المجاز مقصوراً على النقل؛ لكان لزاماً على العلماء بعد ذكر المعاني الحقيقية أن يذكروا لكل لفظ المعنى الذي استعمل فيه العرب المجاز، وما فعلوه، وما أورده الإمام الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) كان القصد منه التنبيه على أساليب البلغاء لمحاكاتها والتعلم منها.

ويتنبه الإمام لما قد يثار من شبهات حول رأي الجمهور من الاكتفاء بنوع العلاقة بأنه لا يليق

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ت: د/ عبد الحميد هندأوي، المكتبة العصرية

للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣، ٢/ ١٢٩.

(٢) دراسات في اللغة، ص ٨.

بحسن بيان اللغة العربية؛ ومثال هذا: إنه يعدون في العلاقات: "علاقة اعتبار ما كان"، ومقتضى الاكتفاء بنوع العلاقة: أن ننقل لفظ الطفل إلى الشيخ، ونطلق على من آمن بعد شرك لفظ: مشرك، ومثل هذا الصنيع لا تسلم معه اللغة من غمز؛ لأنه يوقع في تكثير الألفاظ المشتركة، وهو مرض في اللغة وليس دليلاً على فصاحتها. فيرد على هذه الشبهة بقوله: (إننا نكتفي في صحة المجاز بمراعاة نوع العلاقة. وللبانيين في كل علاقة نظر خاص؛ من حيث الاكتفاء بمجرد وجودها، أو إضافة بعض قيود إلى أصلها، وللذوق السليم بعد هذا التحقيق مدخل في الحكم على بعض الاستعمال المجازي، بالرد أو القبول)^(١)، ويستشهد الإمام على ذلك باستهجان بعض شواهد المجاز مع وجود العلاقة؛ لمخالفتها للذوق.

ويتبع حديثه عن المجاز بحديثه عن النقل باعتبار أن النقل ناتج عن المجاز في بعض صورته، وبيان ذلك في قوله: (إنه قد يغلب استعمال اللفظ في معنى على سبيل المجاز، حتى يصير المعنى المجازي هو الذي ينساق إليه الذهن عند الإطلاق، وذلك ما يسمى في عرف البانيين: "المجاز الراجح"، وإذا صار اللفظ لغلبة استعماله في المعنى المجازي لا يفهم منه عند التجرد من القرينة إلا هذا المعنى، سُمِّيَ: منقولاً، وكان النقل اسماً لغلبة هذا الاستعمال؛ كما في نقل الألفاظ الإسلامية؛ كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج من معانيها اللغوية، واستعمالها في معانيها الشرعية على سبيل المجاز، ثم غلب استعمال الناس لهذه الألفاظ في هذه العبادات على الوجه الذي استعملها عليه الشارع، حتى صارت مجازاً راجحاً، فتكون هذه الألفاظ الإسلامية بالنظر إلى أصل استعمال الشارع من قبيل المجاز اللغوي، صدر التجوز فيها من الشارع نفسه، ثم صارت بغلبة الاستعمال المسماة بالنقل حقائق في عرف حملة الشريعة)^(٢)، وعلى هذا الوجه من النقل أيضاً يجري جانب

(١) دراسات في اللغة ص ١٠.

(٢) السابق ص ١١.

كبير من الأسماء المستحدثة في العلوم .

وذكر الإمام صورة أخرى للنقل؛ وذلك عندما يكون اللفظ موضوعاً في أصل اللغة لمعنى كلي يتناول جزئيات متعددة، فيكون إطلاقه على كل فرد من أفراد هذه الجزئيات من قبيل الحقيقة، ثم يغلب استعماله في جزئي خاص حتى يكون هذا المعنى الجزئي هو المتبادر منه عند الإطلاق، ومن أمثلة ذلك كلمة "الإنشاء"، تجدها موضوعاً في أصل اللغة لمعنى عام هو الإيجاد، ثم أكثر استعمالها في إيجاد القول المحرر خاصة، حتى صار هذا المعنى الخاص هو المتبادر منها عند الإطلاق.

ويذكر الإمام شبهة الوقوع في تكثير الألفاظ المشتركة في النقل كما اشتبه في المجاز ممثلاً لذلك بكلمة "القطار" عند نقلها من الإبل إلى مجموع مراكب "عربات" السكة الحديدية، نكون قد داوينا حاجتنا إلى وضع اسم لمجموع هذه العربات بأمر يقتضي قانون الفصاحة أن نعمل لنقصه، لا للزيادة منه، وهو اشتراك المعاني المتعددة في كلمة واحدة، يحتاج إيضاحها إلى قرينة، ويرد عليهم الإمام بقول: (ونحن نرى أن المعاني التي تشترك في اللفظ الواحد قد تختلف مواطنها اختلافاً بعيداً؛ كان يكون لها معنى يرجع إلى الشؤون المدنية، ومعنى آخر يرجع إلى مصطلحات علم خاص؛ كالنحو، أو الطب، أو الحساب، والاشتراك في هذا القبيل لا بأس به؛ فإن مقام البحث أو المحاوراة يعين أحد المعنيين، ويتجه بذهن المخاطب أو القارئ إلى المعنى المراد، حتى كأن اللفظ لا معنى له غير ما قصد في ذلك الكلام الخاص، ومن ذا الذي يأخذ كتاباً في النحو - مثلاً - أو يشهد درساً، أو محاوراة في بعض مباحثه، فيمر على كلمة الفاعل أو المفعول، أو الظرف أو المجرور أو الحال، ولا يذهب تَوّاً إلى المعنى الذي يريده النحاة من هذه الأسماء؟.

أما إذا كانت المعاني المشتركة في اللفظ الواحد ترجع إلى جهة واحدة؛ كأن تكون راجعة إلى علم واحد، أو يكون كل منها يجري في الشؤون السياسية أو الإدارية أو الصناعية، فذلك هو

الاشترار الذي ينبغي لنا أن نتحاما، حتى تكون المعاني سهلة المأخذ من الألفاظ^(١). وعلى الرغم من تأييد الإمام لإبقاء طريق المجاز والنقل مفتوحاً في وجوه العاملين لحياة اللغة وسد حاجتها ولكنه لا ينبغي إطلاق ذلك دون أن يكون هناك حاجز يكفل التجدد والحماية للغة في آن واحد، ولذلك فهو يوجه الدارسين إلى البحث في كتب اللغة، واستثمار ما بها من ألفاظ مهجورة، (ثم إننا - وإن رأينا إبقاء طريق المجاز والنقل مفتوحاً في وجوه العاملين لحياة اللغة - لا نريد إطلاق العنان فيها ما أمكن، بل نرى في كتب اللغة المبسوطة ألوفاً مؤلفة من الألفاظ التي لا تجري في مخاطبات الجمهور، ولا ترد في كلام أدباء العصر، وإن وردت، فعلى وجه الندرة، فيمكننا أن نرجع إلى هذه الألفاظ المهجورة، وننتقي منها ما يسد الحاجة، ويصلح لأن يكون غذاء للغة حية راقية، مؤثرين له على الأسماء الأجنبية التي لا تمت إلى العربية بسبب، ولا تلتقي معها في أب ولا جد، وسلامة الذوق وجودة الاختيار كفيلاً بأن نسوق إلى ميدان الحياة اللغوية ما يجري على الألسنة جريان الألفاظ المأنوسة في الاستعمال، وليس كل غريب يثقل على السمع، ولا كل مهجور ينبو عنه الطبع^(٢).

وخلص الإمام إلى أن المجاز والنقل كان استجابة لتجدد المعاني، التي تتجدد بحسب رقي الأفكار، واتساع العلوم، وامتداد ظلال المدنية.

(١) دراسات في اللغة ص ١٥ .

(٢) السابق ص ١٦ .

الخاتمة

أفنى الإمام محمد الخضر حسين -رحمته الله- عمره في خدمة الإسلام، ونشر علومه، واهتم بالعربية وعلومها استكمالاً لواجبه الديني؛ فهي لغة معجزة الرسالة، وأول مصادر تشريعها، واهتم بدراسة علم البلاغة، ومن جهوده البلاغية:

- ١- تشديده على ضرورة دراسة البلاغة؛ وإبرازه لأهميتها الكبيرة من عدة جوانب:
 - الجانب الديني: تقوية الوازع الديني، فالبلاغة أبرز وجوه معجزة الرسالة التي دفعت الكثير للإيمان به دون تفكير؛ وتعلمها من أهم شروط تفسير القرآن وفهم معانيه، وتعلم البلاغة النبوية واتباعها تدخل فيما يطلب الاقتداء به.
 - الجانب الاجتماعي: تعلم البلاغة ضرورة دنيوية تعين على نشر العلم وإبراز الحق، ومواجهة الفاسدين، وتثمر عن كثير من المنافع الدنيوية العائدة على المجتمع المسلم بالخير والإصلاح.
 - الجانب الأدبي: إن دراسة البلاغة وحسن توظيف فنونها تعين صاحبها على بلوغ المقاصد، وتكفل له الاستجابة والقبول، ووجودها شرط للإبداع والتفاضل ومقياس للموازنة بين البلغاء، وخاصة عند الشعراء.
 - الجانب اللغوي: البلاغة وسيلة لإحياء اللغة، والتجديد فيها وتطويعها لمسايرة التطور الحضاري، وسد حاجته من الألفاظ المستحدثة عن طريق بابي المجاز والنقل.
- ٢- تسليطه الضوء على الذوق، واعتباره عماد البلاغة، والأداة الأساسية للحكم فيها، وتربيته تكون بطول النظر في كلام البلغاء، والوعي بتفاوتهم في مراتب الكلام؛ لاختلاف أذواقهم، وهذا يسهم في انتقاء الأساليب الجيدة وتنقيحها والموازنة بينها اعتماداً بالذوق الخاص، أما كلام الله لا يخضع فيه للذوق الخاص؛ لإعجازه البلاغي.
- ٣- اعتماده منهج التدبر والتروي في الوقوف على بلاغة القرآن، الذي بلغت أساليبه حدها من

الإعجاز في فصاحة المفردات، ومتانة النظم، وانتظام الدلالة التي ظهرت في صورته البيانية التي اقتضاها المقام وتطلبها السياق بحيث لا تؤذيها العبارة المباشرة، وفي هذا دعوة للباحثين للاستزادة من فوائده التي لا تنضب.

٤- أوضح التفاوت بين بلاغة القرآن وبلاغة البشر، وأوضح الفرق بين بلاغة القرآن وبلاغة النبي -

ﷺ- وهو أفصح البشر على الإطلاق، وحث على دراسة الحديث الشريف وغريبه للوقوف على أسرار بلاغته، واستحباب رواية الحديث بلفظه دون معناه -على الرغم من جوازه- حفاظاً على ما فيه من ثروة بلاغية، يجب محاكاتها اقتداءً به، صلوات الله وسلامه عليه.

٥- وسع مفهوم الخيال؛ ليشمل كل فنون البلاغة التي تسهم في صوغ المعاني وإخراجها في شكل

بديع، سواء سلم به العقل، أم لا، وبذلك يخالف الإمام الخضر رأي الإمام عبد القاهر في إخراج الاستعارة من الخيال؛ لقيامها على إثبات شبه وهو أمر لا ينازع العقل في صحته، أما التشبيه فقد اشترط الإمام الخضر وجود تفاوت في وجه الشبه؛ ليدخل حيز الخيال، ويرى أن قوة الخيال كان لها أثر كبير في إبداع العرب في صناعة التشبيه؛ حتى أكسبت تشابيه كل منهم أسلوبه طابعاً مميزاً، كما عكست جزءاً من حياتهم.

٦- اعتمد الإمام في بحوثه منهج الاستقصاء والتحليل وتتبع آراء غيره من العلماء، وتدعيم آراءه

بالشواهد النقلية والأدلة العقلية، وكثيراً ما يتنبه لما قد يثار حول رأيه من شبهات فيرد عليها بما يزيلها، ويزيد حجته قوة ورأيه سداداً.

التوصيات :

الاهتمام بدراسة الأسلوب البلاغي للإمام محمد الخضر حسين من خلال كتاباته الثرية وديوانه الشعري؛ لتميزه بأسلوب رائق في عرض أفكاره وآرائه؛ مما يجعله مادة خصبة للدراسة البلاغية.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.
٢. الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠.
٣. الأزهر في ألف عام، د/ محمد عبد المنعم خفاجي، ود/ علي علي صبح، ط ١، ٢٠١٠، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
٤. الأعلام، الإمام الزركلي، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
٥. إعلم الموقعين من رب العالمين، الإمام ابن القيم، ت: محمد عبد السلام هارون، ط ١، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.
٦. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن عربشاه عصام الدين الحنفي، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٧. الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠.
٨. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت.
٩. الخيال في الشعر العربي، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠.
١٠. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧.
١١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام الزمخشري، ت:

- مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧.
١٢. بلاغة القرآن، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠.
١٣. دراسات في الشريعة، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠.
١٤. دراسات في العربية وتاريخها للإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠.
١٥. دراسات في اللغة، للإمام الشيخ محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠.
١٦. ديوان خواطر الحياة، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠.
١٧. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ت: د/ عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٨. كتابات حول محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠.
١٩. محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ، الإمام محمد الخضر حسين، اعتناء المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا لبنان الكويت، ط ١، ٢٠١٠.

فهرس الأبحاث والدوريات

١. (بلاغة القرآن وحسن بيانه عند الإمام محمد خضر حسين ت ١٣٧٧ هـ في كتابه بلاغة القرآن) بحث مقدم من د/ سامية محمد محمد علي مقدم بالمؤتمر العلمي الدولي الأول بكلية

- الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ٢٠٢٢ م.
٢. (الشعر العربي والخيال في النقد التونسي في بداية القرن العشرين من خلال أبي القاسم الشابي ومحمد الخضر حسين)، بحث مقدم من د/ عمارة الجداري، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريج، المجلد ٥، العدد ٢، جوان ٢٠٢٣.
٣. قصيدة فضل اللغة العربية في ديوان خواطر الحياة للشيخ محمد الخضر حسين دراسة بلاغية)، بحث مقدم من د/ نوره محمد مرسي عبيد، منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج العدد الثامن والعشرين ٢٠٢٢ م.
٤. (نشأة البلاغة العربية)، المحاضرة الأولى، ألقاها الإمام محمد الخضر حسين في نادي جمعية الهداية الإسلامية، ونشرت في مجلة "الهداية الإسلامية" في الأجزاء: العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر من المجلد الأول. لعام ١٣٤٨ هـ.
٥. (نشأة البلاغة العربية)، المحاضرة الثانية ألقاها الإمام محمد الخضر حسين في نادي جمعية الهداية الإسلامية، ونشرت في الجزأين الثاني والثالث من المجلد الثاني من مجلة الهداية الإسلامية.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

٢٧٨٥	المقدمة
٢٧٨٩	التمهيد: الإمام محمد الخضر حسين
٢٧٨٩	مسيرته العلمية
٢٧٩١	اهتمامه باللغة العربية
٢٧٩٣	اهتمامه بالبلاغة العربية
٢٧٩٧	الذوق البلاغي
٢٧٩٨	المبحث الأول: بلاغة القرآن
٢٨٠٥	المبحث الثاني: البلاغة النبوية
٢٨١١	المبحث الثالث: بحوث بلاغية متفرقة
٢٨١١	الخيال في الشعر العربي
٢٨١٨	إبداع العرب في التشبيه
٢٨١٩	المجاز والنقل
٢٨٢٤	الخاتمة
٢٨٢٦	فهرس المصادر والمراجع
٢٨٢٩	فهرس موضوعات البحث

